وراثة الأرض في القرآن الكريم ـ [دراسة موضوعية]

د. صبحي رشيد اليازجي*

سلم البحث في ١٤٤٠/٨/٣هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٠/٩/٩هـ

ملخص البحث:

يتكوَّن البحث بعد المقدّمة من أربعة مباحث، وخاتمة. أمَّا المبحث الأوّل فقد فصَّل القول في مفهوم وراثة الأرض وأهمّية الاعتقاد بها والغاية منها عبر ثلاثة مطالب. وأمَّا المبحث الثاني فقد بحث وراثة الأرض بين الوعد الإلهي والكدح الإنساني عبر أربعة مطالب بيَّن في الأوّل منها مفهوم الوعد والبشارة وأقسامها والأدلَّة علىٰ الوعد بوراثة الأرض في القرآن الكريم، أمَّا المطلب الثاني فقد بحث دلالة السننية في الوعد، والمطلب الثالث بحث دلالة الوعد علىٰ حتمية وراثة الأرض، ثمّ جاء المطلب الرابع ليتناول علاقة الكدح الإنساني بوراثة الأرض. أمَّا المبحث الثالث من البحث فقد بحث الأُمّة الوارثة من حيث المفهوم والمكوّنات ومقدّمات الصيرورة والصفات عبر ثلاثة مطالب. وتوجَّه المبحث الرابع بالاهتمام إلىٰ خصائص الأُمّة الوارثة من حيث اصطفائيتها وحركيتها وعالمية هدايتها في ثلاثة مطالب، ثمّ خلصت الدراسة إلىٰ خاتمة بيَّنت أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

Research Summary:

The research consists of an introduction, four topics and a conclusion.

The first chapter: explains the concept of inheriting the land, the importance of believing in it and its purpose through three topics.

The second chapter: studies the inheritance of the land between the divine promise and the human labour through four topics. The first topic explains the concept of the promise, its sections and the evidence of the promise of inheriting the land in the Holy Quran. The second topic explains Allah's way in the promise. The third topic studies the indication of the promise in the affirmation of the land inheritance. Finally, the forth topic address the relationship between the human labour and the inheritance of the land.

The third chapter: studies the inheriting nation regarding its concept, components and characteristics through three topics.

The fourth chapter: draws attention to the characteristics of the inheriting nation in terms of selectivity, dynamics and universality of its guidance in three topics.

The study ended with the conclusion of the most important results reached by the study.

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

المقدمة:

إنَّ الحضارة التي تصلح للبقاء ويمكن أن تنضوي تحت لوائها جميع الأُمم، هي الأُمّة المثالية التي ترتقي بالبشرية نحو التكامل الإنساني، وهي القادرة على ضمان التطوّر الفكري والعمراني والتكنولوجي للبشرية، وهي التي تستحق قيادة العالم، وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية التي قرنت بين الإيمان والعمل الصالح، وهناك آيات ساقت الأمثلة لبيان نهاية حضارات كثيرة من أقوام أُولي قوَّة وبأس كحضارة الفراعنة وإرم ذات العماد وغيرهم، لعدم إيمانهم بالله سبحانه وتعالى.

وقد صرَّح القرآن الكريم بحتمية ظهور الإسلام على الدين كلّه، وهذا يعني ظهور الحضارة التي أسَّسها الإسلام، كما أعطانا تصوّراً واضحاً عن هوية الأُمّة التي لها قابلية البقاء والاستمرار من خلال وراثتها الحتمية للأرض.

أهمّية الموضوع:

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:.

١. يعتبر موضوع وراثة الأرض من أهمّ الموضوعات لما لها من أهمّية في إعداد الخطط الاستراتيجية والرؤى المستقبلية للمشاريع التطويرية التي تهدف للنهوض بالبشرية وتنميتها.

٢. تسليط الضوء على خصائص وشرائط الأُمّة الوارثة التي من شأنها تحقيق سيادة الصلاح والفضيلة، ليعم السلام العالمي في ربوع العالم والرقي الحضاري بأتمّ صوره وأكملها.

٣. بيان عجز الحضارة القائمة على أساس المادّة في توفير السعادة الأبدية للبشرية لما فيها من النقص الحادّ في منهجها المعنوي الذي يسمو بالنفس الإنسانية، وكذلك قصورها عن أداء مهامّها لا بدَّ أن تأفل وتضمحلّ وتندثر.

مشكلة البحث:

تكمن في أن اليهود يدَّعون أنَّ وراثة الأرض هي وعد لهم من الله وفقاً لعقيدة (شعب الله المختار وأرضه المختارة)، والنصارى يدَّعون أنَّ التقدّم الحضاري هو من سيؤهّلهم لوراثة الأرض وفرض سيطرتهم عليها، والمسلمون يقولون: إنَّ الأُمّة الوارثة هي أُمّة الإسلام مع أنَّ واقعها المعاش لا يتضمَّن الأهلية الدينية ولا العمرانية، من هنا كان لا بدَّ للباحث أن يجد إجابة حول هذه الإشكالية المثارة عبر التعريف بالأُمّة التي سترث الأرض من حيث الصفات والخصائص التي وفقها ستعمر الأرض وتقيم الحضارة المنشودة والتي ستحقِّق السعادة لجميع البشرية.

المبحث الأول
وراثة الأرض وأهمية الاعتقاد بها وأهدافها
المطلب الأول: مفهوم وراثة الأرض

أولاً: مفهوم الوراثة بالمعنى الإفرادي لغة واصطلاحاً:

١) معنىٰ الوراثة في اللغة:

(الوراثة) اسم مشتقّ من ورث يورث أي يبقي ميراثاً[١]. والميراث: هو أن يكون الشيء لقوم ثمّ يصير إلىٰ آخرين[٢]، ويقال: ورثت فلاناً مالاً إرثاً، إذا مات مورِّثك فصار ميراثه لك[٣]، والإرث من الشيء البقيّة من أصله[٤]. أمَّا الوارث: فهو الباقي وهي صفة من صفات الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (مريم: ٦،٥)، أي يبقىٰ بعدي فيصير له ميراثي[٥].

٢) الوراثة في الاصطلاح:

هي: الحصول على شيء من غير تعب، والميراث في الفقه يعني[٦]:

١. إنَّه استحقاق يتحقَّق للوارث من غير تعب في الاكتساب ولا اجتهاد في الحصول.

٢. إنَّه فرض واقع على الوارث وليس لاختياره دخل في قبوله أو رفضه.

٣) مفهوم الوراثة في الاستعمال القرآني: وردت الوراثة في القرآن الكريم بعدة معانٍ منها:

١. الاستخلاف: كقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُها﴾ (الأحزاب:٢٧)[٧].

٢. التمكين في الأرض: كقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء: ١٠٥)، وقوله تعالى:﴿وَقالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ﴾(الزمر: ٧٤)[٨].

٣. بمعنى المنح والإعطاء والتمليك والاختصاص: كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ (المؤمنون:١١)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا﴾ (فاطر:٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف:٧٢) أي أن الله ملَّكهم الأرض وجعلهم أمة حاكمة جزاء لهم على ما صبروا على الاستعباد [٩].

٤- وأكثر المعاني مناسبةً لموضوع البحث أنَّ الوراثة بمعنى: الاستخلاف والتمكين معاً.

ثانياً: مفهوم "وراثة الأرض" بالمعنى التركيبي:

انتقال التسلّط على منافع الأرض إلى أُمّة صالحة، ويرثون ما كان لمن قبلهم من الملك أن يتقوا الله، ولا يكونوا من المفسدين، ولا من المترفين الفاسقين[١٠]. وهذا يعني أمرين:

الأمر الأوّل: استخلاف الأُمّة: كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(يونس:١٤)، والاستخلاف هو ذهاب أمّة وإزالتها عن مكانها ووضع أخرى مقامها[١١]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ﴾ (الأنعام:١٣٣)، وقوله تعالى: ﴿قالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرضِ﴾ (الأعراف:١٢٩).

الأمر الثاني: تمكين الأُمّة المستخلفة: التمكين يعني جعل الشيء متمكّناً أي راسخاً، وهو تمثيل لقوّة التصرّف في أمر بحيث لا يزعزع تلك القوّة أحد، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ (الأنعام: ٦)، فمعنى التمكين في الأرض إعطاء المقدرة على التصرف[١٢]، وهو منحة يعطيها الله لعباده، وينزعها منهم إذا أخلّوا بها[١٣].

والتمكين له عدَّة معاني، منها: الاستقرار والاستقلال والأمن والرفاه والسلطة السياسية، فالملك عندما يضاف إلى التمكين يُعطي معنى الوراثة، بمعنى جعل له مكاناً، ومكّنه بمعنى أثبته [١٤].

المطلب الثاني: أهمّية الاعتقاد بوراثة الأرض

أولاً: مفهوم ديمومة عمارة الأرض.

١) مفهوم عمارة الأرض لغة واصطلاحاً:

أ. عمارة الأرض لغة: أصل الاستعمار[١٥]، ويقال: أعمره المكان واستعمره فيه: جعله يعمره، واستعمر الله تعالى عباده في الأرض أي أمرهم بالعمارة فيها)[١٦]، و(جعلهم يعمرونها أَذِنَ لهم في عمارتها واستخراج قوَّتهم منها)[١٧] جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم[١٨]، ويقال: (استعمره الأرض أي جعله يعمرها بأنواع البناء والغرس والزرع حتَّى سُمّي الحرث عمارة الأرض)[١٩].

ب. عمارة الأرض في الاصطلاح: ذكر ابن خلدون في مقدّمته وهو: (التساكن والتنازل في مصر أو حلَّة للأنس بالعشير، واقتضاء الحاجات لما فيه من طباعهم من التعاون على المعاش[٢٠]، فبالعمل يكون العمران في الأرض وتنشأ الحضارة وتتقدَّم

الأُمم.

ج. عمارة الأرض في الآيات القرآنية: كلّها تفيد تعمير الإنسان لمنطقة معيَّنة بقصد العيش وعبادة الله عز وجل، لقوله: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٦١). ﴿إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ﴾ (التوبة: ١٨). ﴿رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (إبراهيم: ٣٧). عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها [٢١].

٢) **أقسام عمارة الأرض:** من يتدبَّر القرآن الكريم يجدها تتمحور في قسمين[٢٢]:

أ. عمارة حسّية تقوم على بناء الأرض وصيانتها: لقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾ (إبراهيم:٣٢.٣٤) أي:" وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها"[٢٣]، ممَّا يعني أنَّ للأرض قيمة في الإبداع العمراني لا تنكر، فهي مناط الزراعة والرعي وترتبط بدرجة ما بالتصنيع وبقدر ما تستطيع الأُمّة استثمار الأرض بشكل أمثل وتطوير عطائها وتوجيهه بقدر ما تستطيع إبداع عمراني موجَّه أكثر[٢٤].

ب. عمارة معنوية تقوم على إحياء الأرض بذكر الله وطاعته واتّباع أوامره واجتناب نواهيه: وهذا ما عبَّر عنه القرآن الكريم بعمارة المساجد، لأنَّ تجديد أحوال الطاعة لله من أوكد الأسباب التي تكون بها المساجد عامرة كما أنَّ معصية الله في القول والعمل من أوكد أسباب خرابها، وعمارة المساجد ليست مقصودة لذاتها بل للدلالة على رسوخ الإيمان في قلب المعمّر[٢٥].

٣) **عناصر ديمومة العمران:** إن استمرارية عمران الأرض يقوم على ركائز ثلاثة هي:

١- الأُمّة الصالحة لعمارة الأرض: والتي لديها الكمالات العلمية والعملية المؤهِّلة لعمارتها، "إن خلافة الإنسان في الأرض تقتضي أن يتحرك ويعمر الأرض.. وحين يريد الله منا أن نتحرك ونعمر الأرض فلا بد من أعمال تنظم هذه الحركة، ولا بد من فنون متعددة تقوم على العمارة، ويوزع الله الطاقات الفاعلة لهذه الفنون المتعددة ويجعلها مواهب مفكرة ومخططة في البشر"[٢٦].

٢- الجانب المادّي أو ما يُسمّى بالمدنية: وتشمل الأرض والمال والبنون، فهم زينة الحياة.

٣- الدين: وهو الموجِّه المعنوي لخطوات الأُمّة نحو البناء، لأنَّه هو الروح المؤثِّرة في تحريكها(٢٧).

٤) شروط عمارة الأرض:

١. تمكين وتطويع الأرض لعمّارها مع توفّر القدرة على عمارتها.

٢. وجود الطموح لدى الإنسان والأُمّة في عمارة الأرض، النابع من الحبّ لعمل الخير واجتناب الشر، يدفع للتنافس بين بني البشر، ليتكاملوا ويلتحم بعضهم ببعض التحام تعايش ضروري(٢٨).

ثانياً: ديمومة التنافس والتسابق في الخيرات:

١) مفهوم التنافس في الآيات القرآنية: لقد حث القرآن الكريم على التنافس والمسارعة في الخيرات كما في قوله: ﴿وَفِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ﴾ (المطفّفين:٢٦)، وقوله: ﴿لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ﴾ (الصافّات:٦١). وقوله: ﴿وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ﴾ (آل عمران: ١١٤)، وغيرها كثير.

٢) أهمّية التنافس: يترتَّب على وجود مبدأ التسابق في الخيرات الكثير من المصالح الدنيوية والأُخروية للفرد والمجتمع في آنٍ واحد، وهذا يدفعهم إلى مواصلة السعي في سبيل الحصول على الأفضل، ولا يعني صراع بين تلك المجتمعات، بل يعني تكاملها في ضمن إطار الدين والتي يلخّصها القرآن الكريم بكلمة التقوى التي تعني معرفة الله والاجتهاد في تنفيذ شريعته(٢٩).

٣) آثار التسابق في الخيرات على المجتمع:

١- إزالة المعاصي من المجتمع لأنَّ جميع أفراده يتسابقون من أجل فعل الخيرات ونشر الفضيلة والصلاح، والتخلص من المعاصي ليصبح المجتمع مجتمعاً مثالياً(٣٠).

٢- الرغبة والإرادة لإتقان الأعمال والإبداع بها: وهذا يساعد على زيادة الإنتاج مع جودة النوعية، وبالتالي يحيى المجتمع حياة طيّبة وميسَّرة (٣١).

المطلب الثالث: أهداف ومقاصد وراثة الأرض

وبمراجعة نصوص القرآن الكريم يمكن تلخيص تلك الأهداف فيما يأتي:

الهدف الأوّل: إعلاء كلمة الله في الأرض: والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشرِكُونَ بِي شَيْئاً..﴾ (النور: ٥٥). فالغاية من العبادة إعلاء كلمة الله.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرضِ وَمَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى﴾، والمراد بتمام الكلمة هو إنجاز الوعد وإتمام النعمة عليهم بوراثتهم للأرض[٣٢]. فالأمر بالعبادة في حقيقته دعوة للعمل بعد التفكّر والبحث عن وجود الله من خلال آياته، وهذا المعنى بيَّنه الله في قوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٩١)، فقوله تعالىٰ: ﴿يَذْكُرُونَ اللهَ﴾ إشارة إلىٰ عبودية اللسان، وقوله تعالى: ﴿قِياماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِهِمْ﴾ إشارة إلى عبودية الجوارح والأعضاء، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرضِ﴾ إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح، والإنسان وعمله ما هو إلَّا هذا المجموع[٣٣].

الهدف الثاني: تكوين المجتمع الصالح:

أولاً: أركان المجتمع الصالح:

١- إقامة الصلاة: والتي تؤدّي إلىٰ إنهاء الفحشاء والمنكر في المجتمع بدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)[٣٤].

٢- إيتاء الزكاة: والذي يضمن للمجتمع الرفاه والعدل الاقتصادي ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر:٧)، ويسدّ أسباب الفقر والعوز المؤدّي إلىٰ انتشار السلوك المنحرف.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران:١١٠)، فهذه الخصال لها دور كبير في تقدّم المجتمع والحدّ من ظواهر الفساد والانحراف، وهذا بدوره يؤدّي إلى الاستقرار السياسي والاجتماعي[٣٥].

ثانياً: الغاية من إقامة مجتمع صالح:

١- تطهير الأرض من الانحراف في السلوك الفردي والاجتماعي: الذي بدأ بقتل هابيل ثمّ استمرَّ بدرجات متفاوتة من مجتمع إلى آخر ومن زمان إلى زمان [٣٦].

٢- الارتقاء بالأُمّة إلى كمال الإنسانية: وهو غاية وجود الإنسان الذي يريد السعادة في الدنيا والآخرة، من خلال تحويل البُعد الإيماني إلى واقع عملي يؤدّي إلى التكامل

المادّي والمعنوي[٣٧].

المبحث الثاني
وراثة الأرض بين وعد الله وكدح الإنسان
المطلب الأوّل: الوعد والبشارة بوراثة الأرض

أولاً: مفهوم الوعد والبشارة في القرآن الكريم[٣٨]:

١) مفهوم الوعد هنا، العهد والميثاق: يقول تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ (البقرة:٨٠)، المرشح لوراثة الأرض لا بدَّ أن يفي ما عاهد به الله من الالتزام بأوامره ونواهيه.

٢) مفهوم البشارة في القرآن الكريم: البشارة هي الإخبار بما وقع قولاً كان أو حدثاً على سبيل الفرح والسرور أو السوء والشر من المخبر الأوّل بالخبر الصادق السارّ غالباً.

ثانياً: أقسام الوعد والبشارة، والفرق بينهما:

١) أقسام الوعد والبشارة[٣٩]:

١. بشارة ووعد دنيوي: كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشيءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشر الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥)، وقوله تعالى: ﴿وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصر مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشر الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصفّ:١٣)، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٥).

٢. بشارة ووعد أخروي: كقوله تعالى: ﴿وَبَشر الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾(البقرة:٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة: ٧٢).

٢) **الفرق بين الوعد والبشارة:** يمكن تلخيص أوجه الافتراق بين الوعد والبشارة بما يأتي[٤٠]:

أ. البشارة هي الإخبار عن حدوث شيء ما كان معلوم الوقوع، أمَّا لو كان معلوم الوقوع ولو مستقبلاً لم يكن بشارة، وإنَّما يكون وعداً.

ب. مقام البشارة يفيد الوقوع قريباً، بينما الوعد قد يكون إنجازه قريب الوقوع وقد يكون بعيداً.

ثالثاً: أدلَّة الوعد بوراثة الأرض وحدوده:

١) الوعد في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ على الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ (القصص:٥)، ففي هذه الآية الكريمة وعد صريح من الله سبحانه وتعالى بوراثة الأرض(٤١). وقوله تعالى: ﴿قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، والمراد بالعاقبة للمتَّقين وعدهم بالنصر والعزّ والتمكين في الأرض(٤٢)، قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٥).

٢) حدود الأرض المذكورة في الوعد في القرآن الكريم:

ممَّا يعني أنَّ الوعد الإلهي بوراثة الأرض هو لأُمّة حدَّد الله سبحانه وتعالى صفاتها وبيَّن خصائصها وكلّ أُمّة تنطبق عليها هذه الصفات وتلك الخصائص تكون لها وراثة الأرض(٤٣) وهي:

الرأي الأوّل: أنَّها أرض الجنَّة: بدليل قوله تعالى: ﴿وَقالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ﴾ (الزمر:٧٤): "أخرج الله فرعون وقومه من أرض مصر ذات البساتين وعيون الماء، وخزائن المال، والجاه الوافر في الدنيا، وجعلها من بعدهم لبني إسرائيل"(٤٤).

الرأي الثاني: هي الأرض في الدنيا: تصير كلّها للمؤمنين من بعد إجلاء الكفر عنها، والدليل قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور:٥٥)، وقوله: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ (الأعراف:١٢٨)(٤٥).

الرأي الثالث: هي أرض الشام: والمعبَّر عنها بالأرض المباركة يرثها الصالحون.

القول الراجح:

فإنَّ الرأي الثاني هو المعتمد، من أنَّ الأرض التي وعد الصالحون بوراثتها في القرآن الكريم هي عموم الأرض من مشارقها إلى مغاربها وهو ما عليه أكثر المفسرين(٤٦).

المطلب الثاني: الوعد بوراثة الأرض سنة إلهية

والوعد بالنصر يعتبر سنة إلهية من الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم: ﴿(إِنْ تَنْصروا اللهَ يَنْصركُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ (محمّد: ٧)، وقوله سبحانه: ﴿وَكانَ حَقًّا

عَلَيْنا نَصر الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧).

أولاً: مفهوم السنن الإلهية: عرَّفها سيّد قطب بأنها:(النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله المطلقة، وأنَّ ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين)[٤٧]. ويمكن تعريفها بتعريف آخر بأنَّها: (تلك القوانين التي تجري على وفقها المقادير، فلا تقبل التخلّف ولا تتعرَّض للتبديل)[٤٨]، ولقد وردت لفظة (سُنَّة) في القرآن الكريم ثماني عشرة مرَّة [٤٩]، وهذا يعني أنَّ لله سبحانه قوانيناً ثابتة وحاكمة على الأقوام في جميع الأزمان.

ثانياً: خصائص السنن الإلهية وأقسامها وأهمّية معرفتها:

١) **خصائص السنن الإلهية**[٥٠]: السنن الإلهية من منظور قرآني لها خصائص عديدة منها:

أ- الاطّراد: بمعنى أنَّ السنن الإلهية ليست عشوائية قائمة على أساس الصدفة والاتّفاق، وإنَّما هي ذات طابع موضوعي لا تتخلَّف في الأمور التي تجري عليها، واطّرادها دالٌّ على ثباتها واستمرارها[٥١]، والقرآن الكريم أكَّد على ذلك في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ (الفتح: ٢٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٧)، لأن الله وحده سبحانه الذي يملك هذا التحويل، ولا يستطيع أحد أبداً تحويل سنة الله ليخلق في الإنسان شعوراً واعياً على جريان الأحداث، متبصراً بها ومتأملاً فيها[٥٢]، كقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

ب- العموم والشمول: الملاحظ من متابعة السنن الإلهية الواردة في القرآن الكريم يجد أنها حاكمة على جميع الأفراد، غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على أُمّة دون أُمّة[٥٣]، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٢٦).

ج- حتمية الوقوع والنفاذ: هذه الخصيصة تنتزع من قوله تعالى: ﴿إذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٤٧)، وهي تنبني على ما سبقها من خصائص، فقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر: ٤٣)، يقضي بأنَّ سننه كما هو قضاؤه متحقِّقة لا محالة، لأنَّ السنن نوع من القضاء[٥٤]، ولا رادَّ لأمره.

٢) **أقسام السنن الإلهية:** والسنن الإلهية لها شكلان:

الأوّل: سنن شرطية: أي إنَّها قائمة على أساس الشرط والجزاء وتوصف بالقضيّة الشرطية، من أنَّ الوعد بوراثة الأرض هو وعد مشروط، لقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصروا اللهَ يَنْصركُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ (محمّد:٧)، والقضيّة الشرطية تكون معبّرة عن إرادة الإنسان واختياره.

الثاني: سنن فعلية: كسُنَّة تعاقب الليل والنهار وشروق الشمس وغروبها، وهذه لا ارتباط لها بإرادة الإنسان، وإنَّما هي مرتبطة به سبحانه وتعالى[٥٥].

٣) **أهمّية معرفة السنن الإلهية:** معرفة الحوادث واستخلاص العبر، والوصول إلى حالة معرفية ناضجة يمتزج فيها الوعي بالماضي والحاضر والمستقبل فتؤدّي إلى دراية بالتعاطي مع السنن[٥٦]. فإنَّ معرفة سُنَّة الله في التمكين والاستخلاف في الأرض تقتضي أن تكون الأُمّة مهيَّئة لتحصيل أسباب وراثة الأرض خاصّةً مع وجود ضمان التوفيق بذلك لهم إن هم أخذوا بتلك الأسباب[٥٧].

ثالثاً: الوعد بوراثة الأرض سُنَّة إلهية في القرآن الكريم: الوعد بالاستخلاف والتمكين في الأرض، ووراثتها هي سُنَّة يقرِّرها الله عز وجل ويبيِّن صيرورتها لعباده الصالحين في هذه الحياة لقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)[٥٨]، فالمتأمّل في القرآن الكريم يجد أنَّ هذه السُنَّة ماضية في الأفراد والأُمم[٥٩]، لقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٥)، وهذا الاستخلاف قائم بمجتمعهم الصالح من دون أن يختصَّ به أشخاص منهم، كما كان كذلك في الذين من قبلهم، وهو القول الراجح [٦٠].

المطلب الثالث: حتمية تحقّق الوعد بوراثة الأرض

أولاً: الحتمية في الاستعمال القرآني: لم يرد لفظ الحتم في القرآن الكريم إلَّا مرَّة واحد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾ (مريم:٧١)، ويُراد به تلك "الأُمور التي لا بدَّ من وقوعها لا محالةَ، والعبد لا يستطيع أنْ يحكم بالحتمية على أيّ شيء؛ لأنه لا يملك المحتوم ولا المحتوم عليه[٦١] وهو ما يُطلق عليه اسم السنن والنواميس.

ثانياً: الفرق بين السنن الإلهية والحتمية: ويمكن تلخيصها بما يأتي:

١. السنن هي القوانين والنواميس، أمَّا الحتمية فهي قطعية تحقّق ووقوع نتائج تلك

النواميس والقوانين، فكل ما سنه الله تعالى من النظام لخلقه حتما مقضياً[٦٢]، وبذلك تكون الحتمية هي أثر فعل السنن.

٢. إنَّ السنن التاريخية المتعلّقة بسلوك الإنسان والأُمم تمَّ استخلاصها من أحداث وقعت في الماضي، أمَّا الحتمية فهي لما سيقع في المستقبل بناءً على فعل تلك السنن[٦٣].

ثالثاً: الدلالة على حتمية وراثة الأرض في القرآن الكريم: وذلك عن طريق:

١. دلالة القضاء الإلهي على الحتمية: قضى الله سبحانه بوراثة الأرض من قِبَل الصالحين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، وفي الآية كذلك إخبار بما حتمه الله بوراثة الأرض، وهذا القضاء كائن لا محالة [٦٤] في المستقبل، لما فيه من وعد بوراثة الأرض[٦٥].

٢. دلالة الإرادة الإلهية علىٰ الحتمية: قال تعالىٰ:﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ على الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ (القصص:٥)، ففي الآية إعلان لإرادة الله وكشف لتقديره بوراثة الأرض من قِبَل المستضعفين، وبما أنَّ إرادته لا تتخلَّف عن مراده[٦٦] لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:٨٢)، فإنَّ الإرادة الإلهية حتمية التنفيذ والوقوع.

٣. دلالة الوعد علىٰ الحتمية: قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ﴾ (النور: ٥٥)، ولمَّا كانت وراثة الأرض من الوعد الإلهي فإنَّ تحقّقها من الحتم المقطوع بوقوعه، لأنَّه سبحانه لا يخلف شيئاً من الوعد[٦٧] لقوله تعالىٰ: ﴿وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٦).

المطلب الرابع: وراثة الأرض كدح إنساني

أولاً: مفهوم الكدح الإنساني في القرآن: وجاء لفظ الكدح في القرآن الكريم مرَّة واحد في قوله تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦)، وهذا الخطاب عامّ يستوعب الناس كافّة على مختلف أديانهم ومذاهبهم لأنَّ المخاطب في الآية هو الإنسان بما أنَّه إنسان، فالمراد به الجنس الذي يشمل المؤمن والكافر[٦٨].

ثانياً: مراحل الكدح الإنساني وغايته في القرآن الكريم: فإنَّ الكدح الإنساني أعلن عنه الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠)، وهذا يُنبيء بوجود مشروع إلهي يُراد إقامته على الأرض تقوده الإنسانية، حيث كان للدين دور مؤثّر فيها وهي:

الأُولى: مرحلة الوحدة الإنسانية القائمة على أساس وحدة الفطرة والدين: وهي من يوم نزول آدم إلى الأرض، لقوله تعالى: ﴿كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾ (البقرة: ٢١٣).

الثانية: مرحلة الاختلاف في الدين والتزاحم في الغايات وإرسال الرسل: لقوله تعالى: ﴿وَما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضي بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس:١٩)، والغاية من هذا الاختلاف في ضوء قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ﴾(المائدة: ٤٨) فيختبركم وينظر كيف تعملون، ويبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته، وليحصل التنافس في الخيرات بين الأمم فكل أمة تحرص على سبق غيرها لتكون مؤهلة للمرحلة الأخيرة للكدح الإنساني(٦٩).

الثالثة: هي مرحلة ظهور الدين على الدين كلّه: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣)، والرجوع إلى الفطرة الإنسانية التي توحِّد الأُمّة في عبادة الله، ﴿إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)، وهذه المرحلة هي الأخيرة في المسيرة الإنسانية والتي يكون فيها المجتمع الإنساني قد قطع شوطاً من الابتلاءات والتمحيص حتَّى أصبح مؤهَّلاً لوراثة الأرض، وعندها يبدأ طور آخر من الكدح الإنساني بعد الوراثة وتمكّن ذلك المجتمع المتكامل من الأرض ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحجّ:٤١)، فالإصلاح والتغيير هو نهاية مطاف البشرية وآخر خطوة للمسيرة الإنسانية في الحياة (٧٠).

ومن خلال استقراء هذه المراحل يتَّضح أنَّ الكدح الإنساني إلى الله ينقسم إلى قسمين:

الأوّل: يبدأ من نزول آدم إلى الأرض إلى حين تحقّق الوعد بوراثة الأرض.

والثاني: يبدأ بعد وراثة الأرض إلى قيام الساعة والوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب.

ثالثاً: غاية الكدح الإنساني في القرآن الكريم:

الآيات القرآنية الكريمة تبيّن أنَّ الغاية من الكدح الإنساني هي:

١. لقاء الله سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى﴾ (النجم: ٣٩. ٤٢)، وهذا (اللقاء هو

ثمرة ونتيجة ذلك الكدح، سواء كان لقاء الجزاء في عالم الدنيا، أم لقاء الأعمال في عالم الآخرة)[٧١].

٢. إضفاء الحيوية والنشاط على حركة الإنسان: عمل الإنسان وجهده في الخير والشر، والكدح يعتبر محرِّكاً للإنسان لتحقيق الهدف الإلهي من وراثة الصالحين للأرض ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)[٧٢].

رابعاً: التغيير من آثار الكدح الإنساني:

١) ماهية الإنسان ومكانته: الإنسان قبل أن يكون خليفة الله في الأرض هو نفحة من نفحاته الملكوتية، قال تعالى: ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩)، وقال عز وجل: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (السجدة: ٧. ٩)، إلَّا أنَّه عز وجل في الوقت ذاته بيَّن للإنسان سبيل الغيّ والرشاد وسبيل الهدىٰ والضلال ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾ (الشمس:٧،٨)، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (الإنسان: ٣)، كأنَّه تعالىٰ قال: (خلقتك أيّها الإنسان للابتلاء ثمّ أعطيتك كلّ ما تحتاج إليه)[٧٣]. ثم مكَّنه من الأرض: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف:١٠)، والتمكين: أن يُعطى ويوفَّر له كلّ ما يحتاجه في تحقيق أهدافه فرفع الموانع عنه وأزالها عن طريقه، وجَّهزه بملكات نادرة فأورثه العقل والتفكّر وسخَّر له ما في الكون[٧٤].

٢) مفهوم التغيير: هو الانتقال من حالٍ لا يرضى عنها الإنسان إلى أُخرى خير منها، وهذا الانتقال يخضع لقانون إلهي يربط بين الهدف والوسيلة وإرادة الإنسان بشكل متوازن[٧٥]، فالتغيير هو نتيجة من نتائج الكدح والذي من ثماره بناء الفرد المتكامل ومن ثَمَّ أُمّة متكاملة.

٣) مراحل التغيير الإنساني: يمرُّ التغيير بمرحلتين إحداهما مكمّلة للأُخرى، وهما:

أ- مرحلة التغيير الذاتي: إنَّ التغيير في المنظور القرآني ينطلق من قاعدة تغيير النفس الإنسانية ذاتها، وإكساب الإنسان المواصفات الخاصّة التي تفرضها على شخصيته، ولقد جاءت كلمة التغيير في موضعين في القرآن الكريم، هما: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، وقوله تعالى: ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها على قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣)، تُبيِّن أنَّها قانون عام وحاسم ومنذر وهو أنَّ ما يصيب الإنسان هو نتيجة لسعيه، وطبقاً لهذا

القانون الإلهي نجد أن تغير الناس من الإيمان إلى الكفر لا بد أن يقابله تغيير من نعمة الله عليهم، وإلا لأصبح منهج الله بلا قيمة والعياذ بالله ([٧٦]).

ب- مرحلة التغيير الجمعي: وهي تغيير أفكار وسلوكيات جميع أفراد الأُمّة، ولأنَّ الإنسان هو الجزء الذي يتركَّب منه المجتمع فإنَّ العلاقة بين الإنسان ومجتمعه علاقة تأثير متبادل[٧٧]. وهذا ما بيَّنه الله عز وجل في قوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١)، ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا على الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ (الجن:١٦). فيظهر أنَّ تغيير الأنفس أساس لتغيير المجتمع إلَّا أنَّ التغيير سُنَّة اجتماعية لا سُنَّة فردية، وهذا ما بيَّنته الآيات الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ﴾، ﴿بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾، ﴿لَوِ اسْتَقامُوا﴾، ومن هنا يمكن القول بأنَّ الفردية ليس لها حظٌّ من تغيير المجتمع، فقد يتغيَّر الفرد ولكن لا يشترط أن يتغيَّر المجتمع طبقاً لذلك[٧٨] حتَّى وإن كان الفرد يمتلك جميع المقوّمات القادرة على تغيير المجتمع فإن لم يكن المجتمع مهيَّئاً ومستعدّاً لذلك التغيير فلن ينجح.

٤) أنواع التغيير: التغيير يكون على نوعين، هما[٧٩]:

الأوّل: التغيير الإصلاحي: يتناول بعض المعالم الجانبية في المجتمع مع الاحتفاظ بالأُصول والقضايا الأساسية الصحيحة التي تتحكَّم في أوضاع المجتمع العامّة.

الثاني: التغيير الجذري: وهو: "كلّ تغيير يتعرَّض لعامّة الأُصول والأُسس القائمة في المجتمع، فتطالها عملية التغيير وإن بقيت بعض الجوانب والأُمور الثانوية على حالها".

وهذا يقودنا إلى التغيير الفكري أو العقائدي والتغيير العملي لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ (النور: ٥٥)، وقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (الحج: ٤١). ليعلموا أن الله ما مكَّنهم ونصرهم لذاتهم، وإنما ليقوموا بمهمة الإصلاح وينقوا الخلافة الإنسانية في الأرض من كُلِّ ما يُضعِف صلاحها أو يفسده[٨٠]. وهذا يستلزم التغيير الشامل في المجتمع. وبذلك يتَّضح الارتباط بين التغيير الفكري وبين التغيير العملي، فالأوّل مقدّمة للثاني فلا يمكن حصول التمكين للدين وتحقّق الوعد بوراثة الأرض من غير أن يسبقه تغيير شامل لأفكار وسلوكيات الأُمّة الوارثة.

المبحث الثالث
الأمّة الوارثة مفهومها ومقدّمات صير ورتها
المطلب الأوّل: مفهوم الأمّة وعوامل تكوينها

أولاً: مفهوم الأمّة في القرآن الكريم:

هي الجماعة التي تجتمع على دين واحد، كقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣)، بحيث تكون النهاية الطبيعية للاجتماع والتعارف الانتهاء إلى الوحدة على مستوى الإيمان والعبادة والطاعة لإله واحد[٨١]وهو الله عز وجل ﴿وَإِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:٥٢). ولهذا فإنَّ التكاليف الاجتماعية والتوجّهات الحضارية التي أرسى دعائمها الدين السماوي توجَّهت بشكل مباشر للأُمّة لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران:١٠٤)، فهي المسئولة عن تنفيذ تلك التوجّهات، وهي الحاضن للقوى المؤهَّلة لتحويل تلك التكاليف إلى وقائع قائمة في المجال الاجتماعي والحضاري[٨٢].

ثانياً: عناصر تكوين الأمّة:

لا تشترط وحدة الأرض أو اللغة أو العرق واللون في كينونة الأُمّة، بل ما تحتاجه في تكوينها عدَّة عوامل تتفاعل فيما بينها[٨٣]، وهي:

١- **وحدة المعتقد:** إنَّ اتّحاد الفكر والعقيدة هو الأساس الذي يُحقِّق مفهوم الأُمّة وعليه يقوم كيانها، فهو الذي يُحدِّد نوع العلاقات بين أفرادها أنفسهم وبينهم وبين الخارجين عن إطار هذه الأُمّة، فإنَّ وحدة الناس في العقيدة والإيمان هي التي تصلح أن تكون أساس اجتماع الناس واتّفاقهم بحيث يصحُّ إطلاق وصف الأُمّة عليهم، كما أنَّ عدمها يوجب تفرّقهم وبطلان وصف الأُمّة في شأنهم، وعليه فإنَّ رابطة العقيدة الدينية هي المكون الجوهري للأُمّة [٨٤].

٢- **وحدة الهدف:** ولا تستطيع الأمة الإسلامية أن تحقق وحدة الدولة والكيان تحت راية واحدة قبل أن تحقق وحدة الهدف ووحدة المصير ووحدة الشعور ووحدة الاقتصاد ووحدة الشعوب ووحدة المصالح، ويوم تحقق الأمة وحدتها الفكرية ورباطها القائم بعد وحدة العقيدة والشعور على وحدة المصالح والمصير تستطيع أن تحقق بذلك عودة الخلافة الفكرية والاجتماعية للأمة وبالتالي أستاذية العالم، وهي خلافة أهم وأعمق من الخلافة السياسية الرمزية التي ترمز في النهاية إلى وحدة الكيان الإسلامي[٨٥].

٣- **وحدة السلوك:** إنَّ وحدة الاعتقاد لدى جماعةٍ ما تؤدّي إلى وحدة هدفهم، ولتحقيق هذا الهدف لا بدَّ من توحيد سلوك أفراد تلك الجماعة.

وعليه فإنَّ الجماعة التي يشترك أفرادها في العقيدة والسلوك الاجتماعي القائم على هذه العقيدة تترابط فيما بينها ترابطاً وثيقاً، فعمل الأُمّة يعكس طبيعة أفكارها ومعتقداتها، فإن كانت عقيدتها سليمة تكون السُبُل التي تسلكها للوصول لغايتها سليمة، ولذلك فإنَّ أهمّ شرط من شروط الأُمّة الوارثة أن تكون أعمالها صالحة. وإن المشروع الإسلامي العالمي وحده الذي يملك مواصفات عقائدية، وتشريعية، وثقافية، وأخلاقية سليمة وصحيحة وقوية، ولأنها وحدها التي تنسجم مع السنن الربانية في الكون، وتتفق مع الفطرة الصحيحة والعقل الصريح، ويملك بالإضافة إلى ذلك تجربة تاريخية غنية صاغت حضارة عالمية متميزة، ما زالت آثارها ماثلة في كل مكان [٨٦].

المطلب الثاني: مقدّمات صيرورة الأمّة الوارثة

أولاً: مفهوم الابتلاء وأقسامه وأهميته.

١) **مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك: ٢)، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (هود: ٧). والابتلاء: هو الاختبار بعمل تظهر به الصفات النفسانية الكامنة عند الإنسان[٨٧]، والغاية منه بيان الصالح من الفاسد والمطيع من العاصي وحصول العلم بملكات النفس وإمكانياتها.

ولذلك فإنَّ سُنَّة الابتلاء هي عملية تربية ربّانية للبشرية والتي تعتبر رمزاً للتكامل الإنساني، فمن خلال معايشة الإنسان للابتلاء يرسم بيده طريق عاقبته فإمَّا النعيم الدائم وإمَّا العقاب الخالد.

٢) **أقسام الابتلاء:** استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشيءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشر الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥)، يمكن تقسيم الابتلاء على قسمين:

الأوّل: الابتلاء المادّي: وهو ما يكون في الأولاد والأموال والأنفس.

الثاني: الابتلاء المعنوي: وهو ما يكون في العقيدة والإيمان والطاعة وما يترتب عليها[٨٨].

ومن خلال مراجعة النصوص المتعلّقة بوراثة الأُمم السابقة للأرض كقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرضِ وَمَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا

فِيها وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا﴾ (الأعراف:١٣٧)، وصبرهم كان على ما لقوه من الأذى ﴿قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرضِ﴾ (الأعراف: ١٢٩)، وهذا الأذى يبيّنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤).

نلاحظ من الآيات أنَّ وراثة الأرض سُنَّة إلهية فإنَّ ما جرى على الأُمم السابقة التي تحقَّقت لها الوراثة من المحن والابتلاءات يجري على الأُمّة التي تريد تحقيق الوراثة في المستقبل[٨٩].

٣) **أهمّية الابتلاء:** تكمن أهمّية الابتلاء في كونه[٩٠]:

١. سُنَّة إلهية عامّة في حياة الأُمم: لقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت:٢)، ليعلموا مدى طاعتهم وصبرهم وتحمّلهم فيما يعرض إليهم من المحن.

٢. تهيئة وإعداد الأُمّة لما هو آت، لأنَّ الابتلاء يظهر الملكات الكامنة بالعمل والجِدِّ والسعي دون

كلل أو ملل، وهذا ما أشار له عز وجل: ﴿فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(آل عمران:١٤٦)، فهو وسيلة من وسائل التربية الإلهية للبشرية.

٣. سببٌ لتكامل البشرية ورقيها: والجزاء المترتّب على النجاح فيه تسنم مقام خلافة الله في الأرض، ويجعل من الأُمّة التي هدفها وراثة الأرض أُمّة قويّة مؤهَّلة لقيادة مستقبل البشرية.

ثانياً: مفهوم الاستضعاف، وأنواعه في القرآن الكريم.

يشير المفسّرون إلى عدَّة معاني للاستضعاف منها:

الأوّل: هو أن يقوم جماعة بإضعاف جماعة أُخرى: حتَّى يمكن للجماعة الأُولى أن تستغلَّ الجماعة الضعيفة في سبيل مآربها ومصالحها[٩١]: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها﴾(النساء:٩٧)، وقال كذلك:﴿وَقالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً﴾ (سبأ:٣٣).

الثاني: هو الضعف المانع من التعرّف على الحقّ وتمييزه عن الباطل[٩٢]: لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ (النساء: ٩٨).

الثالث: العيش في ظلّ ظروف قاسية يفرضها المحيط على جماعة عارفة بعقيدتها يعجز أفرادها عن أداء واجباتهم التي كُلّفوا بها بصورة كاملة، فالضعيف ليس له عزّة تُمكّنه من إظهار إسلامه، فلذلك يضطّر إلى كتمان إسلامه[٩٣] لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ﴾ (القصص: ٤)، وهؤلاء هم من ينعم الله عليهم بوراثة الأرض: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

ثالثاً: حقيقته الانتظار وأثره في بناء الأُمّة الوارثة.

١) **حقيقته في القرآن الكريم:** ذكرت الآيات القرآنية الكريمة موضوع الانتظار وما يرادفه من معاني في أكثر من مورد، وكلّها تؤكّد على انتظار يوم وعد الله عز وجل به المؤمنين بالنصر والفتح بإعلاء كلمة الدين وتمكينه[٩٤] يقول عز وجل: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ (السجدة:٢٩،٣٠). وقال كذلك: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

فالانتظار، والتهيّؤ والاستعداد وهو ما يسمّيه القرآن الكريم بالمرابطة في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:٢٠٠)، والمرابطة تدلُّ على شدٍّ وثَبات[٩٥]، والمداومةُ على الشيء[٩٦]. أمَّا القرآن الكريم يقصد الانتظار والمداومة على طاعة الله والاستعداد الدائم لنصرة الدين[٩٧]، ليؤهّل الأُمّة وارثة الأرض لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٥).

٢) **أثر الانتظار في بناء الأُمّة الوارثة:** إن وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يستخلفهم في الأرض، دفع المسلمون الأوائل في صدر الإسلام بما يحملونه من الإيمان والعمل الصالح بأن يتفوقوا على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت لهم مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن والتمكين التامين[٩٨]. وهذا دفع المؤمنون على انتظار وعد الله بوراثة الأرض في المستقبل، وهذا الإيمان يجعل الأُمّة تسير

وفق المنهج الإلهي للوصول إلى وراثة الأرض، ممَّا يعبّئ الذات الإنسانية بحالة روحية ومعنوية متفائلة تؤثّر في السلوك للالتحاق بركب هؤلاء، بإقامة سنن القرآن، ليتمن لهم وعده بخلافة الأرض إلى آخر الزمان، فبقدر إقامة هذه السنن يكون الملك والسلطان(٩٩).

رابعاً: مفهوم التمييز والغربلة في القرآن الكريم: يقول تعالى: ﴿ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، والتمييز هو: استخراج الصفوة التي استجابت لمسؤوليتها والقيام بواجبها الإلهي، وهذا يعني الاختيار والاجتباء لأُمّة صبرت على الابتلاء. وسبب اختيار المؤمنين وإبقائهم دون غيرهم هو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرضِ﴾ (الرعد: ١٧)(١٠٠). إن انتظار تحقّق الوعد بوراثة الأرض يستلزم التمييز والغربلة والاختيار والاصطفاء ليُقيموا حكم الله في الأرض ووراثتها حسب مراد الله.

المطلب الثالث: صفات الأمّة الوارثة في القرآن الكريم

أولاً: الإيمان وأثره في بناء شخصية الأمّة:

١) مفهوم الإيمان في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأَيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤)، وهذا يوضح أنَّ قول اللسان وحده لا يكفي ليكون الإنسان مؤمناً، وعليه فإنَّ مفهوم الإيمان هو: (إذعان النفس للحقّ على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تصديق القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ (الحديد: ١٩)(١٠١). فالإيمان ليس مجرَّد المعرفة النظرية، بل يجب أن تتحوَّل هذه المعرفة إلى قوَّة دافعة لتحقيق مدلولها في عالم الواقع لتحقيق الغاية من وجود الإنسان في هذا الكون، كما يريده الله ورسله(١٠٢).

٢) أثر الإيمان في بناء شخصية الأُمّة: أنَّه يُهذِّب أفكار الإنسان ويجعل سلوكه منسجماً مع الضوابط الإلهية ويبعده عن مطبّ الانحراف عنها، وبالتالي: يزكّي البعد الجماعي بتمتين الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الناس بحيث تصبح الجماعة المؤمنة منتظمة على نحو يدعو إلى ترقية الأداء الجمعي ليحقّق التعمير في الأرض والقيام بمهامّ الاستخلاف فيها"(١٠٣). وأنهم أكمل الخلق أوصافاً، وأقواهم نفوساً، وأحسنهم أخلاقاً، أجلُّ صفاتهم أن الله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ (المائدة: ٥٤)، هذه الصفات

السّت التي اتّصف بها الوارثون الذين يرثون الأرض[١٠٤].

٣) **المؤمنون يرثون الأرض:** هذا الهدف لا بدَّ أن يُوكَل إلى أُمّة مؤمنة بتحقيق بتلك الوراثة وهم:

١. الصالحون: لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء:١٠٥)، أي: الذين يمتلكون كلّ المؤهّلات من ناحية التقوى والعلم والقدرة على التدبير والتنظيم الاجتماعي، حينها سيورثهم الله الأرض، ويوليهم عليها[١٠٥].

٢ . المستضعفون: لقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ (القصص:٥)، وهذه الآية تكشف عن أنَّ مسار الحضارة الإنسانية في المستقبل ليس منحصراً بالمسلمين من حيث هم كذلك، وإنَّما هو لكلّ مستضعف في الأرض مؤمن، لأنَّ تعبير الاستضعاف هنا يرشد إلى حقيقة الإيمان والتقوى[١٠٦].

ثانياً: العمل الصالح في القرآن الكريم:

١) **مفهوم العمل الصالح:** وللعمل الصالح مفهوم واسع يشمل كلّ فعل خير، وورد لفظ العمل في القرآن الكريم في (تسعة وخمسين وثلاثمائة موضعاً، وفي جميع هذه المواضع يُلحَق به إمَّا صفة الصلاح أو السوء)[١٠٧]، منها قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ (التوبة: ١٠٢)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ (آل عمران:٣٠)، والعمل الصالح لا يقتصر على عبادات معينة ومجالات محددة، بل هو ميدان واسع ومفهوم شامل، يضمُّ بين طيّاته جميع الأعمال الإيجابية والمفيدة والبنّاءة على كافّة أصعدة الحياة العلمية والثقافية والإقتصادية والسياسية والعسكرية [١٠٨].

٢) **آثار العمل الصالح على الأُمّة في القرآن:** وراثة الأرض التي وُعِدَ بها المؤمنون، فلا أثر للعمل الصالح بغير إيمان، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ (النور: ٥٥). قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت:٩)، والصالحون يرثون الأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ

الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥). فالعمل الصالح يُؤدّي إلى وراثة الأرض، وإزالة أشكال الفساد منها، وأهمّ هذه الأعمال هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، (فإذا اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل في أُمّة فهي الوارثة للأرض)[١٠٩]، والتي ستُحيى بهم كافّة مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتَّى العسكرية حياة طيّبة[١١٠] لقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

ثالثاً: تعاهد الحقّ والصبر في القرآن الكريم:

١) **التعاهد في القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد:١٧)، وقوله سبحانه: ﴿وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:٣)، أي: إيصاء القوم بعضهم بعضاً[١١١]، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢). وتواصي الأُمّة بالحقّ والصبر، والتزام الإيمان والعمل الصالح يعمل على بقاء الأُمّة في الطريق المستقيم[١١٢] الذي يُؤدّي إلى وراثة الأرض.

٢) **عوامل بقاء الأُمّة:** بيَّنتها الآيات القرآنية الكريمة بوضوح، وهي:

العامل الأوّل: التواصي بالحقّ والصبر: يقول عز وجل: ﴿وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣)، "وهذا فيه دلالة على الدوام والثبات على الحقّ والصبر"[١١٣]، وكذلك فيه حثّ للأُمّة عليهما لتصل بهما إلى التكامل الاجتماعي والسياسي والديني والاقتصادي[١١٤]. وبالتواصي بالصبر تستطيع الأُمّة مواصلة السير على طريق الاستقامة وتتخطّى كلّ العقبات والابتلاءات التي تواجهها وتصبح أُمّة رسالية تقود بقيّة الأُمم إلى الخير والفلاح لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤)، كذلك قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ (القصص:٥)، وهذه المنزلة لا تنالها إلَّا الأُمّة المؤمنة العاملة الصابرة[١١٥].

العامل الثاني: الاعتبار بتجارب السابقين: ويُعَدُّ التفكّر في أحوال الأُمم الماضية وكيفية أخذهم وإهلاكهم بسبب العصيان والاعتبار بحالهم من أهمّ عوامل رجوع الأُمّة إلى رشدها وتفادي أسباب هلاك من سبقها، لتكذيبهم وجحودهم، ومن يساويهم في ذلك تكون نهايته كنهايتهم. والقرآن الكريم سمّى الأُمم الماضية بـ ﴿الْقُرُونِ الْأُولى﴾

(طه:٥١) أي: القوم المجتمعون في زمن واحد[١١٦].

والآيات القرآنية عند ذكرها للأُمم السابقة تنكر على من لا يعتبر بما جرى لها ولا يتعلَّم من أخطائها، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى﴾(طه:١٢٨)، والهدف من ذكر أخبار هلاك القرون الأُولى:

١- تبصرة للناس ليُميِّزون بين الحقّ والباطل: وتذكيراً لهم كي لا يسلكوا سُبُلهم.

٢- دلائل لذوي العقول: وبيان لمسبّبات الهلاك وإنهاض لهم إلى العمل الصالح[١١٧].

٣) أسباب هلاك الأمم الماضية في القرآن الكريم:

بيَّن الله عز وجل أسباب هلاك الأُمم الماضية بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ (يونس:١٣) وقال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ (الأنعام:٦). وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها﴾ (القصص:٥٨). وهذه الأسباب هي:

١- الظلم: لقوله تعالى: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾، ولقد وصرح الله سبحانه بأن سبب هلاكهم وقوع الظلم منهم، كما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (الكهف:٥٩)[١١٨].

٢- عدم الإيمان بالله عز وجل: لقوله تعالى: ﴿وَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾، وعدم الإيمان من أعظم أنواع الظلم لقوله تعالى: ﴿يا بُنَيَّ لا تُشرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشركَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)[١١٩].

٣- اقتراف الذنوب: لقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، و(الإهلاك: هو عقاب للأُمّة دالٌّ على غضب الله عليها، لأنَّ فناء الأُمم لا يكون إلَّا بما تجرّه إلىٰ نفسها من سوء فعلها)[١٢٠].

٤- بطر المعيشة: ويُقصَد به الطغيان بالنعمة في زمان عيشها الرخي الواسع فأفسدوها وكفروها فلم يشكروها ولم يحسنوا رعايتها، وقلَّ احتمالهم لحقّ النعمة فيها، فطغوا في التقلّب عند مصاحبتها وتكبَّروا بها فكانت سبب هلاكهم [١٢١].

٤) أمّة ذات بقيّة: قال تعالى: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧)، ولقد أشارت الآية الكريمة إلى من يقوم بعملية الإصلاح حيث قال تعالى: ﴿فَلَوْلا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَكانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦)، جاءت هذه

الآية بعد بيان إهلاك الأمم بظلمهم وإفسادهم في الأرض؛ للإعلام بأنه لو كان فيهم جماعات وأحزاب أولوا بقية من الأحلام والفضائل والقوة في الحق ينهونهم عن ذلك لما فشا فيهم، فإن الصالحين المصلحين في الأرض هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من الهلاك ما داموا يطاعون فيها بحسب سنة الله(١٢٢).

أ- معنى أُولي بقيّة: هم "خيار القوم وأفاضلها لترقّبهم الله في أعمالهم"(١٢٣). وقيل هي: الأُمّة الصالحة التي اختارها الله لتبقى، والأُمّة الباقية هي الأُمّة الوارثة.

ب- مهام أُولي بقيّة: والآية القرآنية الكريمة تُبيِّن مهام هذه الجماعة، وهي: ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرضِ﴾ (هود: ١١٦)، ونهيهم عن الفساد يعني أنَّهم يأمرون بالمعروف والصلاح، وبعملهم هذا يتجسَّد معنى العمل الصالح، والنتيجة تكون أنَّهم (يصلحون الأرض ويحفظون أُمّتهم من الاستئصال)(١٢٤)، وبذلك يحرزون جميع عوامل وصفات البقاء التي تجعلهم أُمّة وارثة للأرض.

المبحث الرابع
خصائص الأمّة الوارثة
المطلب الأول: أمّة مصطفاة

أولاً: الاصطفاء في القرآن الكريم: وجاء الاصطفاء في القرآن الكريم على عدة معان منها (١٢٥):

أ) الاجتباء: كقوله تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحجّ: ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿وَلكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

ب) الاختيار: كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾ (الدخان: ٣٢).

ج) التفضيل: كقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ﴾ (البقرة: ٤٧).

ثانياً: أدلَّة اصطفاء الأمّة الوارثة في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ (القصص:٥). وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ (النور:٥٥). و من هاتين الآيتين يمكن الاستدلال على اصطفائية الأُمّة الوارثة وهي:

١) دلالة الجعل على الاصطفاء: قال تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ (القصص:٥)، وفيها دلالة على أنَّه عز وجل اختارهم قادة في الخير يقتدى بهم، لتسنّم مقام الإمامة والوراثة (١٢٦)، ليجعل دين الإسلام مكيناً ثابتاً في الأرض، عزيزاً قوياً

منيعاً، مرهوب الجانب في نظر أعدائه [١٢٧]، وهذا المعنى يلتقي مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾ (الأنبياء:٧٣)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤)، سيجعل الله من هؤلاء الضّعفاء أعزّة بالإسلام، وتتأيّد دولة اللّه في الأرض، ويصبح أتباعها هم الأئمة الوارثين كونهم صفوة الأمم[١٢٨].

٢) دلالة الاستخلاف على الاصطفاء: يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٥)، جاءت عبارة ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ بمعنى الاصطفاء لاختصاص تلك الأُمّة بذلك الاستخلاف بقرينة قوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، (والمراد باستخلافهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم عقد مجتمع مؤمن صالح منهم يرثون الأرض كما ورثها الذين من قبلهم من الأُمم الماضين أُولي القوّة والشوكة، وهذا الاستخلاف قائم بمجتمعهم الصالح من دون أن يختصَّ به أشخاص منهم كما كان كذلك في الذين من قبلهم، وأمَّا إرادة الخلافة الإلهية بمعنى الولاية على المجتمع كما كان لداود وسليمان ويوسف وهي السلطنة الإلهية فمن المستبعد أن يعبّر عن أنبيائه الكرام بلفظ: ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، وقد وقعت هذه اللفظة أو ما بمعناها في أكثر من خمسين موضعاً من كلامه تعالى ولم يقصد ولا في واحدٍ منها الأنبياء الماضون مع كثرة ورود ذكرهم في القرآن[١٢٩]. أن الخطاب للأمة المحمدية، وأنه جعلهم خلفاء لمن سبقهم من الأمم في الملك واستعمار الأرض وهذا هو الراجح المختار[١٣٠]. وهذا الاصطفاء بالاستخلاف لم يكن جزافاً، بل جاء ليمتحنهم بهذا الملك ويبتليهم به لينظر كيف يعملون)[١٣١].

٣) دلالة السبق على الاصطفاء: قال تعالى: ﴿أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ﴾ (المؤمنون:٦١)، يرغبون في الطاعات أشد الرغبة، فيبادرونها، ويسبقون غيرهم من الناس وهذا السبق هو مناط الاصطفاء[١٣٢]، لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ١٠،١١)، (ولفظ ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ مأخوذ من القربة بمعنى الحظوة وهو أبلغ من القريب لدلالة صيغته على الاصطفاء والاجتباء)[١٣٣]. وهؤلاء ممَّن ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ﴾ (المؤمنون: ١١٤)، وبما أنَّ الصالحون يرثون الأرض لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا

فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، فإنَّ الأُمّة الوارثة هي أُمّة مصطفاة، ومناط اصطفائيتها هو السبق.

المطلب الثاني: أمّة حركية

أولاً: مفهوم الأمة الحركية: هي الأُمّة التي تستحضر قواها لتغيير واقعها وما حولها، وبذلك فإنَّ معنى الحركية يرادف معنى القيام والنهوض). وقيل أنَّها: الأُمّة التغييرية المستحضرة لمبادئها وقيمها في نهضتها، بهدف الإصلاح والتطوير[١٣٤].

ثانياً: صور حركية الأمّة الوارثة في القرآن الكريم، وهي كالتالي:

الصورة الأُولى: حركيتها في إقامتها الصلاة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرضِ أَقامُوا الصَّلاةَ﴾ (الحجّ:٤١). والإقامة هي: (إدامة الفعل والحفاظ عليه، وقد يُراد بها ما تستقيم بها الأفعال)[١٣٥]، أي أداموها وحافظوا عليها وجعلوها قائمة على كلّ عمل ومقوِّمة له. ولا يُراد من إقامة الصلاة الجانب العبادي فقط، بقدر ما يُراد منها الآثار التي تعكسها على المجتمع ومدى فاعليتها في إنهاء أساس الانحراف السلوكي لدى الأُمم الذي يرجع إلى وجود الفاحشة، والتي تعني (القبح في كلّ شيء)[١٣٦]، سواء كان (في القول أو العمل أو أيّ أمر آخر)[١٣٧]، وما ينتج عنها من المنكر في كلّ امتداداته الأخلاقية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وسعي الأُمّة الوارثة بأن تكون أعمال الأفراد مستقيمة من خلال قيمومة الصلاة عليها، يعني أنَّهم يحيون الصلة بين الإنسان وخالقه من خلال بثّ مباشر للتعاليم الإلهية التي جاءت بها الرُسُل وعكسها علىٰ الواقع العملي، وهذا ما يُشير له قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤)، وإحياء الصلة بالله يعني معرفته، ومعرفته تُؤدّي إلىٰ مراقبة رضاه في كلّ حركة وسكنة، وبذلك فإنَّ (الصلاة تحوَّلت من حركات جسدية إلىٰ عمل حركي واضح المعالم)[١٣٨] في مفاصل مجتمع الأُمّة المؤمنة.

الصورة الثانية: حركيتها في إيتاء الزكاة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرضِ أقاموا الصلاة وَآتَوُا الزَّكاةَ﴾ (الحجّ:٤١) والزكاة هي: (أصلٌ يدلُّ على نماء وزيادة وطهارة)[١٣٩]، والإيتاء هو (مجيء الشيء وأصحابه وطاعته)[١٤٠]. فالإيتاء يدل على حركية الأُمّة في شتّى ميادين العطاء.

الصورة الثالثة: حركيتها في أمرها بالمعروف: يقول تعالى: ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهذا يشمل كل معروف حُسْنُه شرعاً وعقلًا من حقوق الله، وحقوق

الآدميين، مُنكره شرعاً وعقلاً معروف قبحه. وهذه من أهمّ مميِّزات الأُمّة الوارثة لقوله تعالى: ﴿وَلِلهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحجّ:٤١)، والعاقبة تنتهي ببقاء الأمثل وحفظ الأفضل والأتقى، لأنه قام بأمر الله، فكانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة(١٤١).

الصورة الرابعة: حركيتها في مسارعتها للخيرات: قال تعالى:﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران:١١٤). إنَّ تعبير ﴿يسارعون في الخيرات﴾ له مفهوم واسع إلى درجة أنَّه يشمل التقدّم في جميع الأُمور ذات المنحى الإيجابي من أُمور الحياة، فهي: أُمّة إبداع وابتكار أي (سبق الناس إليه، أي المبادرة إليه أوّلاً)(١٤٢)، ووصفها كذلك بأنَّها ﴿أُمَّةٌ قائِمَةٌ﴾ بقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ﴾ (آل عمران:١١٣،١١٤)، فالآية تتكلَّم عن أهل الكتاب لكنَّها لا تنحصر فيهم، فكلّ من اتَّصف بالصفات المذكورة في الآية ينطبق عليهم وصف الأُمّة القائمة(١٤٣). وهي الأُمّة التي تتحرَّك لإنجاز مهامها من صلاة وزكاة ومعروف ومسارعة بالخيرات والسبق للنهوض بواقعها(١٤٤).

ثالثاً: سمات حركية الأمّة الوارثة:

١) ذات طابع ربّاني: بمعنى أنَّها حركية قائمة علىٰ أساس تحكيم شرع الله في كلّ شأن من شؤون العمل الحركي(١٤٥)، وهذا ما رمزت إليه إقامة الصلاة في المنظور القرآني.

٢) ذات طابع مسئول: فعندما يكون العمل التغييري قائماً على أساس الاستجابة للتكليف الإلهي في عملية الاستخلاف في الأرض، فإنَّه يحتّم على الأُمّة التغييرية تحمّل مسؤولية هذا الاستخلاف، فيتولَّد عندها الإحساس بضرورة القيام بواجبها إزاء هذا التكليف(١٤٦).

٣) ذات طابع تغييري: العمل الرسالي يستهدف الإنسان أساساً ويسعى لتغييره وفق أُطروحته الفكرية التي تستهدف تقويم سلوك الإنسان وانتشاله من الواقع الفاسد إلى واقع الهدى والإيمان، فالأُمّة التغييرية لا تكون كذلك إلَّا عندما تُغيِّر وتُؤثِّر في محيطها، وإن لم يتحقَّق ذلك التغيير فعليها مراجعة القاعدة الفكرية التي تنطلق منها، والوسائل التي تعتمدها في التنفيذ.

٤) ذات طابع واقعي: ويقصد بها انسجام وملاءمة العمل الحركي مع مجمل الفطرة الإنسانية من جهة، ومتطلّبات الحياة والكون من جهة أُخرى(١٤٧).

رابعاً: طبيعة فكر الأمّة الوارثة: السمات التي تتميَّز بها حركية الأُمّة الوارثة أنها:

١. ذات طابع واقعي، منطلقة من قاعدة فكرية، منسجمة مع النفس الإنسانية ومتفاعلة معها.

٢. ذات طابع تغييري، قاعدتها الفكرية ذات طبيعة عملية قادرة على أن تبعث روح العمل في الإنسان وتحرّكه من أجل تلبية متطلّباته والعيش بشكل أفضل.

٣. طبيعة شمولية بإمكانه استيعاب أبعاد حركة الإنسان على جميع الأصعدة(١٤٨).

المطلب الثالث: أمّة هادية

أولاً: مفهوم الأُمّة الهادية وهويتها.

١) مفهوم الأمّة الهادية: هي التي (تدعو إلى الحقّ وتعمل على نشره)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾(الأعراف:١٨١).وقيل: هي التي تتقدَّم الأُمم الأُخرى (لترشدها إلى الطريق الذي يوصلها للكمال وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة)(١٤٩)

٢) أقوال في هوية الأُمّة الهادية(١٥٠): هناك ثلاثة أقوال في تحديد هويتها وهي أنها أمة من:

القول الأوّل: اليهود: لقوله:﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(الأعراف: ١٥٩).

القول الثاني: النصارى: والتي نعتها القرآن الكريم بالأُمّة القائمة بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾(آل عمران:١١٣).

القول الثالث: أنَّها أُمّة محمّد ﷺ: لما ورد في الأثر من أنَّ رسول الله لمَّا قرأ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف:١٨١)، قال:(هذه لكم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها)(١٥١).

ثانياً: الأدلّة على كون الأمّة الوارثة أمّة هادية من القرآن الكريم:

لم ترد آية صريحة تبيِّن بأنَّ الأُمّة الوارثة هي أُمّة هادية، ولكن مجموع الآيات التي ذكرت الوراثة تظهر هداية هذه الأُمّة، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ (القصص:٥)، أي: أنَّ الله جعلهم أئمّة وجعلهم وارثين، وهم: (قادة ورؤساء في الخير يُقتدى بهم).

أما قوله تعالى: ﴿لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه(١٥٢) وهذا لا يكون إلا بالدعوة.

ثالثاً: عالمية الهداية، والأدلة على ذلك من القرآن الكريم.

١) مفهوم العالمية: وهي تطلق على:

أ. الأرض التي تُشكِّل وحدة متكاملة، فهي تشمل كلّ ما يمتدّ ويتَّسع متخطّياً العوائق والحواجز وكلّ ما هو مصطنع حتَّى يشمل العالم كلّه دون تفرقة أو تمييز.

ب . البشرية موحية بمشاركة الناس جميعاً في أمرٍ ما تجمعهم الوحدة الإنسانية التي يُقصَد بها من ناحية الجنس البشري مجرَّداً عن انتماءاته لدولةٍ أو لأُخرى، أي إنَّه مصطلح يتضمَّن العالمية لأنَّه يحتضن شعوب العالم أجمع في الوقت الحاضر وأولئك الذين سيأتون في المستقبل) [١٥٣]. ولأنَّ الأُمّة الوارثة تعتمد على فكر يتَّسم بالشمولية والواقعية، فهي قادرة على التأثير في بقيّة الأُمم وهدايتها إلى الطريق القويم الذي يوصل تلك الأُمم إلى السعادة الدنيوية والأُخروية[١٥٤].

٢) الأدلَّة على عالمية الأُمّة الوارثة من القرآن الكريم: مفردة الأرض مطلقها، أي: جنسها[١٥٥] كما في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٥)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، وإطلاقها يشمل كافّة أنحاء العالم، "فالمراد من الأرض هنا الدنيا لأنه أليق بالتذييل وأقوى في التعليل، فهذا إيماء إلى أنهم خارجون من مصر وسيملكون أرضاً أخرى"[١٥٦]. وقيل: أرض العرب والعجم بأن يمد زمانهم وينفذ أحكامهم، فيجعلهم متصرفين في الأرض تصرف الملوك في مماليكهم[١٥٧].

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث منها:.

١. إنَّ معنى وراثة الأرض ليس الاستخلاف فقط وإنَّما هي (استخلاف مع تمكين) بحيث إذا فقد هذا الثنائي أحد طرفيه لن يتحقَّق معنى الوراثة، والمقصود بالاستخلاف ليس استخلاف إمارة وخلافة حكم وإنَّما إبقاء لمشروع الأُمّة الوارثة وإظهاره على بقيّة الأُمم.

٢. ضرورة التفريق بين الوراثة بمعناها الفقهي عن الوراثة بمعناها الكلامي والعقائدي، فالأُولى تكون بنسب أو سبب، والثانية تكون باستحقاق وأهلية واختيار، وعليه فإنَّ وراثة الأرض حقّ عامّ يحصل عليه من يوفّي بشروطه.

٣. إنَّ الأُمّة الوارثة لا يتوقَّف ميراثها للأرض على هلاك أُمّة أُخرى أو تراجعها وإنَّما يتوقَّف على مدى قابليتها واستعدادها لتحمّل أعباء الوراثة وما لديها من إمكانات علمية وعملية للقيام بمهامها.

٤. الاعتقاد بوراثة الأرض له أثر بالغ في ديمومة التنافس والتسابق في عمران الأرض والذي يُؤدّي إلى التقدّم والتطوّر الحضاري.

٥. إنَّ الآيات القرآنية الكريمة تُؤكِّد على الترابط الوثيق بين الإيمان والعمل وتأثيره في عمارة الأرض، وأيّ عمل خارج نطاق الإيمان سيكون مصيره الزوال، ولا قيمة له في قانون البقاء.

٦. إنَّ الغاية من إرسال الرُسُل بالشرائع الإلهية هي بناء الإنسان وتكامله، وتوفير حياة تليق به.

٧. الوعد الإلهي في القرآن الكريم هو من الحتم الذي لا بد منه لكونه من قضاء الله الذي لا يُرَدُّ، لأنه من السنن الإلهية التي تمتاز بالجريان والشمول وحتمية التحقّق في حال تحقّق شروطها.

٨. إنَّ الأُمّة الوارثة صنعتها العناية الإلهية وفق الأسباب الطبيعية من ابتلاء واستضعاف مروراً بمرحلة الانتظار ووصولاً إلى التمييز والغربلة، فصهرت نفوسهم وأعادت تشكيلها وفق مراد الله.

٩. إنَّ الأُمّة الوارثة تحيا وتُحيي كلّ ميادين الحياة بتلك العبودية من خلال قيامها بالإيمان على جميع فعّاليات الإنسانية في الدنيا والتي ستكون سبب نجاتها وفوزها في الآخرة.

١٠. إنَّ طبيعة فكر الأُمّة الوارثة في إقامة مشروعها الحضاري على الأرض المتَّسم بالواقعية والمسؤولية والشمول هي التي تكفل لذلك المشروع التحقّق والنجاح والاستمرار وتمنحه ميزة البقاء.

١١. إن علاقة الأُمّة الوارثة بالآخرين من الأمم، تسهم إسهاماً واضحاً في تمكين الأُمّة من التأثير عليها وإيصالها لمرحلة التكامل المعرفي والحصول على السعادة التي تنشدها الإنسانية عموماً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

([1]) العين/الخليل بن أحمد الفراهيدي ٨ : ٢٣٤.

([2]) معجم مقاييس اللغة/ابن فارس ٦: ١٠٥.

([3]) تهذيب اللغة/أبو منصور الأزهري: ٨٥.

([4]) لسان العرب/ابن منظور ٧: ١١٢.

([5]) النهاية في غريب الحديث/ابن الأثير ٥: ١٧٢ بتفاوت يسير.

([6]) التوقيف علىٰ مهامّ التعاريف/ محمّد عبد الرءوف المناوي: ٧٢٤.

([7]) ينظر: تفسير الشعراوي/٢: ٢٩٧٦. تفسير الطبري/١٢: ٥٧٨.
([8]) تفسير الطبري/١٩: ٥٧٨.
([9]) التحرير والتنوير/ابن عاشور. ٧٦/٩
([10]) تفسير المنار/محمد رشيد بن علي رضا.٩: ٢٧.
([11]) تفسير الشعراوي/١: ٢٩٧٤. تفسير الحرير والتنوير/ابن عاشور. ٩: ٢٦.
([12]) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٨ : ٤٢٤.
([13]) الدر المنثور/للسيوطي، ٦: ١٧.
([14]) التحرير والتنوير/ابن عاشور، ٢٨/٧.
([15]) استعمل القرآن كلمة الاستعمار في إحياء الأرض وتعميرها، ولكنها اليوم تستعمل في الظلم والطغيان واستعباد الشعوب المستضعفة.
([16]) تاج العروس/الزبيدي ٧: ٢٦٨.
([17]) المنجد: ٥٣٠.
([18]) تفسير البيضاوي/١: ٢٤٢.
([19]) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٧: ١٦٣.
([20]) مقدّمة ابن خلدون: ٢٣/ط دار الفكر.
([21]) ينظر: تفسير البيضاوي، ١/-٢٤٢
([22]) بين عمارة المساجد وعمارة الأرض (بحث) زيد بو شعراء (أستاذ في جامعة محمّد الأوّل وابن طفيل، المغرب) مجلّة حراء، العدد ٢٠١١/٢٦م.
([23]) تفسير السعدي/١/٣٨٤.
([24]) الظاهرة الحضارية في القرآن الكريم (بحث)/عبد الحليم عويس: ٦٩٩/ضمن بحوث ووقائع المؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلاميّة في مصر تحت شعار (إنسانية الحضارة الإسلاميّة) (٢٠٠٥م).
([25]) نظم الدرر/البقاعي ٣: ٤٢١(بتصرف)
([26]) تفسير الشعراوي، ٧٢٩/١.
([27]) الإنسان دراسة في النوع والحضارة/محمّد رياض: ١٧٥.
([28]) ينظر: تفسير الشعراوي، ٧٣٠/١.
([29]) التفسير المنير/للزحيلي، ١٢٣/١٧.
([30]) ينظر: تفسير الطبري، ٣: ١٣٤.
([31]) المسابقة إلىٰ الخيرات/مجدي فتحي: ١٩ – ٢٥.
([32]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/البقاعي ٣: ٢٦٠ (بتصرف).
([33]) تفسير الرازي ٩: ١٣٦.
([34]) المفردات في غريب القرآن/الراغب الأصفهاني: ٤٣٥.
([35]) نظرية الإصلاح في القرآن الكريم/إحسان الأمين: ١١٦ – ١١٨.
([36]) المخلِّص بين الإسلام والمسيحية/باسم الهاشمي: ٥٢.
([37])(السياسة الدولية بين النظرية والممارسة/زايد عبيد الله مصباح: ٢٤٣).

([38]) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرءوف المناوي، ١٣١/١.
([39]) ينظر: الاستنارة بما جاء في البشارة، يعقوب يوسف، ص: ٢٥ . ٣٠.
([40]) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٧/٦.
([41]) ينظر: تفسير الطبري، ٥١٨/١٩. التحرير والتنوير، ٢٠٩/٢٨.
([42]) تفسير البحر المديد/ابن عجيبة ٢: ٢٧٨. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ٢٠٦/٢.
([43]) المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى وفرعون/زاهية الدجاني: ١٤٤ – ١٤٧.
([44]) تفسير ابن كثير ٣: ٣٤٨.
([45]) مفاتيح الغيب/الرازي ٢٢: ٢٣٠.
([46]) فتح القدير/الشوكاني ٣: ٤٣٠.
([47]) في ظلال القرآن/سيّد قطب ١: ٤٨٠.
([48]) مفهوم السنن الربّانية/رمضان خميس زكي: ١٤.
([49]) ينظر: المعجم المفهرس، محمد عبد الباقي، ص:٣٦٦.
([50]) ينظر: السنن الإلهية في الأمم والأفراد، د. مجدي محمد عاشور، ص: ٤٧ . ٥٠.
([51]) السنن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان: ٣.
([52]) ينظر: تفسير الشعراوي، ٥٢٨٠/١.
([53]) السنن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان: ٧ (بتصرف).
([54]) السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، عماد عبد الكريم وخضر إبراهيم: ٤٠.
([55]) ينظر: السنن الإلهية في الأمم والأفراد، د. مجدي محمد عاشور، ص: ٣٧.
([56]) المفصَّل في الردّ علىٰ الحضارة الغربية، علي بن نايف الشحود، ٢٣/٢.
([57]) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١/١٠.
([58]) في ظلال القرآن، سيّد قطب ١٧١/٥ – ١٧٤.
([59]) فقه التمكين، علي محمّد محمّد الصلابي، ص:١١٧.
([60]) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٢٦/١١.
([61]) ينظر: تفسير الشعراوي، ٥٥٩٣/١.
([62]) ينظر: تفسير المنار، ٢١١/٢
([63]) ينظر: السنن الإلهية في الأمم والأفراد، د. مجدي محمد عاشور، ص: ٥٠.
([64]) تفسير ابن كثير ٥: ٣٨٤.
([65]) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم/أبو السعود ٤: ٤٤١.
([66]) ينظر: في ظلال القرآن/سيّد قطب ٥: ٤٠٩.
([67]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/أبو بكر البقاعي ٦: ٢٨٩ (بتصرف).
([68]) ينظر:التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٤٠/٢٠. التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٢٥٧٩/١.
([69]) ينظر: تفسير السعدي، ٢٣٤/١.
([70]) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي،٨/٦.

([71]) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٤٠/٣٠.
([72]) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، ٤٢٠/١٠.
([73]) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢١٦/١٦.
([74]) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، د. محمّد سعيد رمضان البوطي: ٤٤.
([75]) حتَّىٰ يغيّروا ما بأنفسهم، جودت سعيد: ٢٧.
([76]) ينظر: تفسير الشعراوي، ٣٣٠٧/١.
([77]) المجتمع بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني/محمّد عبد الجبّار: ١٨.
([78]) التغيير الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلاميّة/سيف الإسلام علي مطر، ٢٧.
([79]) التغيير الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلاميّة/سيف الإسلام علي مطر/٣٥.
([80]) ينظر: تفسير الشعراوي، ٦٠٥٢/١.
([81]) جامع البيان، الطبري٢٧٦/٤ (بتصرف).
([82]) الأُمّة والدولة، محمّد محفوظ، ص: ٤٣.
([83]) حول إشكالية مفهوم الأُمّة الإسلاميّة (مقال)، حسن بيان، الشبكة العنكبوتية.
([84]) تصوّرات الأُمّة المعاصرة، ناصيف نصّار، ص: ١٥.
([85]) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصر، علي بن نايف الشحود، ٢٩/١.
([86]) العولمة، الدكتور: صالح الرقب، ٦٢/١.
([87]) أنظر: الإبتلاء والمحن في الدعوات، د. محمد عبد القادر أبو فارس، ص: ١٣.
([88]) ينظر: الإبتلاء والمحن في الدعوات/د. محمد عبد القادر أبو فارس، ص: ٢١.
([89]) ينظر: الإبتلاء والمحن في الدعوات/د. محمد عبد القادر أبو فارس، ص: ٤١.
([90])روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/شهاب الدين الآلوسي ٣:٤٣٩ (بتصرف).
([91]) ينظر: تفسير الشعراوي، ١٧٧٣/١.
([92]) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧٣/٥.
([93]) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧٦/٥.
([94]) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٣٦٤/٤.
([95]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٧٨/٢.
([96] العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٩٩/٢.
([97]) الكشاف، للزمخشري، ٥٢٩/١
([98]) ينظر: تفسير السعدي، ٥٧٣/١.
([99]) ينظر: تفسير المنار، ٢٦٠/١١
([100]) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨٦/٣.
([101]) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، ص: ٩٠.
([102]) الإيمان أركانه وشُعَبِه، خليل مخيف الربيعي، ص: ٧.
([103]) الإيمان بالله وأثره في الحياة، عبد المجيد عمر النجّار، ص: ١٩٦.
([104]) ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، ٤٧٢/١.
([105]) ينظر: تفسير السعدي، ٥٣١/١.

([106]) الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة/فرح موسى، ص: ٢١٥.
([107]) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص:٤٨٣.
([108]) موسوعة خطب المنبر، الخطبة الثانية، ١/٢٣٣٠.
([109]) أيسر التفاسير، أسعد حومد، ص: ٢٤٩٥.
([110]) تيسير التفسير، إبراهيم القطّان، ٢/٤٤٧.
([111]) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٥٤٩.
([112]) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٣٢: ١١٩؛ تفسير أضواء البيان، الشقنيطي، ٩/٩٥.
([113]) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣/١٧٨.
([114]) أضواء البيان، محمّد الشقنيطي، ٩/٢٩٥(بتصرف).
([115]) لتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٧/١٠١.
([116]) المفردات في غريب القرآن/الراغب الأصفهاني: ٤١٨.
([117]) تفسير الوسيط/محمّد طنطاوي: ٢٤١٠.
([118]) ينظر: تفسير المنار، ١١/٢٥٨.
([119]) التفسير المنير، للزحيلي، ١١/١٢٥
([120]) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤/٣٦٤.
([121]) نظم الدرر، البقاعي، ٦/١٩٩.
([122]) ينظر: تفسير المنار، ١٢/٢٠١.
([123]) مفاتيح الغيب، الرازي، ٨/٤٨٥.
([124]) تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، ٢/٦٩.
([125]) التفسير الوسيط، محمّد سيّد طنطاوي، ص: ٣٨٣٠.
([126]) تفسير البغوي، ٦/١٩٠(بتصرف).
([127]) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، ١٨/٢٨٤
([128]) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، ٧/٢١٦.
([129]) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص: ٥٣٢ . ٥٣٣.
([130]) ينظر: تفسير المنار، ٨/٢٢٠.
([131]) ينظر: تفسير المنار، ١١/٢٥٩.
([132]) التفسير المنير، للزحيلي، ١٨/٦٣.
([133]) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/الفيروز آبادي ١: ٦٠٩.
([134]) حركة التجديد والاستنهاض/عبد الله أحمد: ٩٩.
([135]) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٤٣٤.
([136]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٤: ٤٧٨.
([137]) العين/الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٣/٩٦.
([138]) العبادة بين الفاعلية والركود (محاضرة)/عبد الله الغريفي/الموقع الالكتروني (www.alghuraifi.org).
([139]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/١٧.
([140]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/٤٩.

([141]) ينظر: تفسير السعدي، ٥٣٩/١.
([142]) العين/الخليل بن أحمد الفراهيدي ٥: ٥٨.
([143]) القاعدة القرآنية تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (ظ/البرهان في علوم القرآن/الزركشي ١: ٣٢).
([144]) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم/علي محمّد محمّد الصلابي: ٤٧٧.
([145]) المنهج الحركي في القرآن الكريم/عبد اللطيف الراضي، ص: ٢٠.
([146]) المنهج الحركي في القرآن الكريم/عبد اللطيف الراضي: ٣٠.
([147])المنهج الحركي في القرآن الكريم/عبد اللطيف الراضي، ص: ٣٥ . ٤٠.
([148]) الحركية والفكر (مقال)/فتح الله كولن/مجلَّة حراء/العدد ١٢/لسنة (٢٠٠٨م).
([149]) البحر المديد/ابن عجيبة ٢: ٨٧.
([150]) تفسير ابن كثير ٣: ٤٩١.
([151]) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي، ٤١٤/٢.
([152]) ينظر: تفسير السعدي، ٥٧٣/١.
([153]) مفهوم العالمية في التنظيم الدولي المعاصر/جاسم محمّد زكريا: ٩٨ – ١٠٠.
([154]) العولمة وعالمية الدين/الشيخ حيدر حبّ الله/مجلَّة المنهاج/العدد ٢٣/ص ٢٧٣.
([155]) تفسير المنار، ٧١/٩.
([156]) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦٠/٩.
([157]) ينظر: تفسير السراج المنير، ٥٠١/٢.

المراجع والمصادر:

١.إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار المصحف – مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد – القاهرة.
٢.الأُمّة والدولة: محمّد محفوظ، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.
٣.الإيمان أركانه وشُعَبِه: خليل مخيف الربيعي، دار الكتب والوثائق الوطنية.
٤.البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث.
٥.التغيير الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلاميّة: سيف الإسلام علي مطر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
٦.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج]: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.
٧.السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي(المتوفى:٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)–القاهرة، ١٢٨٥.
٨.المفصّل في الردّ علىٰ الحضارة الغربية: جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، تاريخ الإضافة: ١٩ يناير ٢٠١١ م.
٩.المنهج الحركي في القرآن الكريم: عبد اللطيف الراضي، دار المنتدي،، ١٩٩٠ م.
١٠.أيسر التفاسير: أسعد محمود حومد، سنة النشر: ١٤١٩ – ٢٠٠٩م.
١١.بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجـــد الدين،

المحقق: محمد علي النجار، عبد العليم الطحاوي،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٦م.
١٢.تفسير الشعراوي: لمحمد متولي الشعراوي، راجع أصله وخرج أحاديثه أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
١٣.تيسير التفسير: إبراهيم القطان (المتوفى: ١٤٠٤هـ).
١٤.حتَّىٰ يغيّروا ما بأنفسهم: جودت سعيد، بدون.
١٥.فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم: علي محمّد محمّد الصلابي، بدون.
١٦.موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصر: جمع وإعداد:علي بن نايف الشحود، بدون.
١٧.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ط. مجمع الفقه): محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مجمع الفقه الإسلامي بجدة.
١٨.إعراب القرآن وبيانه: محي الدين الدرويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية –حمص– سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، ط٤،١٤١٥ هـ.
١٩.الابتلاء والمحن في الدعوات: د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٢٠.الاستنارة بما جاء في البشارة: يعقوب بن يوسف محمد عبد الله، دار ابن حزم، ٢٠٠٣.
٢١.الإنسان دراسة في النوع والحضارة: محمّد رياض، دار النهضة العربية، ١٩٧٤م.
٢٢.الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة: فرح موسى، دار الهادي، ٢٠٠٣م.
٢٣.الإيمان بالله وأثره في الحياة: عبد المجيد عمر النجّار، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.
٢٤.البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
٢٥.التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية ١٩٩٧م، دار سحنون– تونس.
٢٦.التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي، محمد بن أحمد، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م.
٢٧.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.
٢٨.التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٩.التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط١.
٣٠.التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، ٣٨ عبد الخالق ثروت – القاهرة، ط١، ١٤١٠ هـ –١٩٩٠م.
٣١.التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرءوف المناوي، المحقق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، ١٤١٠ – ١٩٩٠.
٣٢.الحركية والفكر: (مقال)/فتح الله كولن/ مجلَّة حراء/ العدد ١٢/لسنة (٢٠٠٨م).
٣٣.الدر المنثور: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، ١٤١١هـ–١٩٩٠م، دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان.
٣٤.السنن الإلهية في الأمم والأفراد: د. مجدي محمد عاشور،
٣٥.السنن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ناشرون.

٣٦.السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل(بحث): عماد عبد الكريم خصاونة، وخضر إبراهيم قزق، المحقق: أو المشرف على الرسالة، مجلة المنارة، ط٢،٢٠٠٩م ١٤٣٠هـ، الأردن، المفرق.
٣٧.السياسة الدولية بين النظرية والممارسة: زايد عبيد الله مصباح، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.
٣٨.الظاهرة الحضارية في القرآن الكريم: (بحث)/عبد الحليم عويس: ٦٩٩/ضمن بحوث ووقائع المؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلاميّة في مصر، تحت شعار (إنسانية الحضارة الإسلاميّة) (٢٠٠٥م).
٣٩.العبادة بين الفاعلية والركود:(محاضرة)/عبد الله الغريفي،الموقع الالكتروني:www.alghuraifi.org
٤٠.العولمة وعالمية الدين: الشيخ حيدر حبّ الله، مجلّة المنهاج، العدد ٢٧٣/٢٣.
٤١.العولمة: د. صالح الرقب، كلية أصول الدين–الجامعة الإسلامية، قطاع غزة، ط٢، ١٤٢٢هـ.
٤٢.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المؤلف، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي عوض، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان– الرياض.
٤٣.المجتمع بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني: محمّد عبد الجبّار، دار الأضواء، ١٩٨٧.
٤٤.المخلِّص بين الإسلام والمسيحية: باسم الهاشمي، دار المحجة البيضاء، ط٢، ٢٠٠٧م.
٤٥.المسابقة الى الخيرات سلسلة من صفات عبد الرحمن: مجدي فتحي، المحقق: أو المشرف على الرسالة، دار الصحابة للتراث، مصر–طنطا، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠م.
٤٦.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، دار الحديث القاهرة.
٤٧.المفردات في غريب القرآن:لأبي القاسم الحسين بن محمد،ت. محمد كيلاني، دار المعرفة لبنان.
٤٨.المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون: د. زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
٤٩.المنجد في اللغة: لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية – بيروت.
٥٠.النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٥١.أنوار التنزيل وأسرار التأويل: المعروف بتفسير البيضاوي (ت: المرعشلي)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.
٥٢.أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)،المحقق:محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت،ط١، ١٤١٨هـ.
٥٣.تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٥٤.تصورات الأمة المعاصرة: دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة في الفكر العربي الحديث والمعاصر: ناصيف نصّار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ديسمبر ،٢٠١٧ م.
٥٥.تفسير الشعراوي– الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ).

٥٦.تفسير القرآن (تفسير السمعاني): منصور بن محمد أبو المظفر السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم أبو تميم – غنيم بن عباس أبو بلال، دار الوطن للنشر، ط١، ١٤١٨ – ١٩٩٧.
٥٧.تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
٥٨.تفسير المنار: لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٥٩.تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية– مصر الجديدة، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤م.
٦٠.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.
٦١.جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.
٦٢.حركة التجديد والاستنهاض: عبد الله أحمد قصير، المصحح: مركز نون للترجمة والتأليف، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
٦٣.حول إشكالية مفهوم الأُمّة الإسلاميّة: (مقال)، حسن بيان، الشبكة العنكبوتية.
٦٤.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦٥.فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
٦٦.في ظلال القرآن، لسيد قطب، الطبعة الشرعية السابعة عشرة ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، دار الشروق.
٦٧.كتاب العين، للخليل بن أحمد، تحقيق:د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
٦٨.كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين (المتقي الهندي) (المتوفى:٩٧٥هـ)، المحقق: بكري حياني–صفوة السقا،مؤسسة الرسالة،ط٥،١٤٠١هـ –١٩٨١م.
٦٩.لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،لطبعة أولى، دار صادر– بيروت.
٧٠.معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، دار الفكر.ب
٧١.مفاتح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط أولى١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٢.مفهوم السنن الربّانية: رمضان خميس زكي، القاهرة.
٧٣.مفهوم العالمية في التنظيم الدولي المعاصر: جاسم محمّد زكريا، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠٠٦م.
٧٤.مقدمة ابن خلدون: بدون.
٧٥.منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: د. محمّد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر بيروت.
٧٦.موسوعة خطب المنبر: الخطبة الثانية:(islamport.com/w/amm/Web/2411/1183.htm)
٧٧.نظرية الإصلاح في القرآن الكريم: إحسان الأمين، ط١، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م.
٧٨.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية – بيروت.